

رسالة عتاب (حزينة) إلى الشعب الفلسطيني

أسعد أبو خليل *

هذه رسالة تأخرت لأن العاطفة تغلبت على العقل. ما كنت أقوى على معاتبة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال وفي المنافي. لكن قضية فلسطين عمّرت، وفي العام المقبل سيمرّ قرنٌ واحدٌ من الزمن على وعد بلفور. لا يمكن أن تتحوّل مناسبات ذكرى ماسي فلسطين إلى مجرّد احتفالات هزيلة الحضور في المخيمات. لكن مصارحة الشعب الفلسطيني واجبة على كل من يناصر قضية تحرير فلسطين. لكن، هل أن قضية تحرير فلسطين لا زالت هي القضية، أم انها استبدلت بمشاريع مختلفة من التعايش مع الاحتلال؟ هل أن تحرير فلسطين هو مشروع قائم، أم أنه بات تاريخاً عند البعض في الشعب الفلسطيني؟ استهلّ كلامي بالقول إنني مدين إلى الشعب الفلسطيني بالكثير. لا، أنا مدين إلى الشعب الفلسطيني بكباني وعواظي وجوارحي. لا، أنا مدين لأن الشعب الفلسطيني أنقذني من الهوية والتنشأة اللبنانية. القضية الفلسطينية كانت ولا تزال عندي، وعند غيري، اللقاح أو حقنة المناعة ضد التنشئة الوطنية اللبنانية، وضد كل ترسبات الثقافة السياسية اللبنانية. للأجيال التي نشأت بعد النكبة (قبل زمن الصعود السياسي السعودي-الحريري في لبنان) كان هناك خيار لبنان مقابل خيار فلسطين. لم يكن هناك من مهرب آخر. كانت فلسطين طاغية على ذهن من يريد أن يعترض على الكيان اللبناني برمته، خصوصاً أن هذا الكيان تأسس -مثله مثل الكيان الأردني الهاشمي- بالتوازي مع مشروع الكيان الصهيوني. كانت فلسطين عنوان الثورة على الكيان اللبناني. أنا لم أوافق فقط على أن الطريق إلى فلسطين تمرّ في كل المدن والقرى اللبنانية. لا بل أنا كنت ولا أزال أؤمن أن الطريق إلى فلسطين يجب أن تمرّ من كل مدينة وقرية في لبنان.

أنا، وغيري، مدينون إلى الشعب الفلسطيني. إن أجمل ما في لبنان في حقبة ما قبل وأثناء الحرب الأهلية كان بفضل الشعب الفلسطيني في لبنان. للزمن الجميل معايير ومقاييس مختلفة: عند فريق جريدة «النهار»، كان الزمن الجميل يُختصر بحقبة السيطرة الطائفية الرجعية واللهو البورجوازي والحدود الضيقة الصلبة للمسافة بين الطبقات الاجتماعية. وإخضاع الطبقات الفقيرة بالقوة وإلحاق سياسة لبنان بالمحور الأميركي-الإسرائيلي، وتنضّل لبنان من مسؤوليّة نصرته الشعب الفلسطيني. لبنان كان أقلّ الدول والمجتمعات العربية تضحية من أجل قضية شعب فلسطين. لكن هناك جانب آخر من الجميل في زمن بائد، الشعب الفلسطيني أثرى الرقص والمسرح والفن والأدب والتعليم وخصوصاً الإعلام في لبنان: وحده شفيق الحوت كان مسؤولاً عن أكثر من ظاهرة إعلامية، من «المحرّر» إلى «الحوادث»، في عزّها. وكان المولجون والمولجات بشأن الإذاعة اللبنانية من الفلسطينيين خريجي إذاعة الشرق الأدنى. حتى الظاهرة الربحانية كان يحمل تبعات الإبداع فيها مُخرج مسرحيات الربانية، صبري الشريف، الذي كانت صحافة الستينيات في بيروت تعترف بفضل الكبير على الإبداع الربحاني.

أنا مدين إلى الشعب الفلسطيني لأنه صخّ في اليسار اللبناني التقليدي الستاليني ثورية كانت معدومة فيه. الشعب الفلسطيني وتنظيماته الثرية-ممارسة ونظرية- هي التي ثورت الشيوعية في لبنان وفرضت عليها تبني أجندة الكفاح المسلح، بعد أن كان فرج الله الحلو قد كتب في عام 1942 (أي بعد ثورة 1936-39 في فلسطين): «لقد كنا ومازلنا نقول إن نضال العرب في فلسطين ضد الصهيونية هو نضال سلمي» (فرج الله الحلو، «كتابات مختارة»، ص. 35). ثور أهل فلسطين، بعد أن ثاروا على سطوة الدولة اللبنانية الشهابية القائمة، لبنان برمته، وغثروا من شعارات الأحزاب والقوى التقدمية. لم يكن اليسار اللبناني ذا النشأة الإصلاحية الرومانسية الليبرالية ينطق بلغة الثورة والكفاح المسلح. كان جل ما أراه نقولا

الشاوي وجورج حاوي بعد سيطرتهم على مقدرات الحزب بالتنسيق مع موسكو هو الحصول على مقعد نيابي أو اثنين. وتعامل الحزب الشيوعي اللبناني بكثير من الودّ مع سليمان فرنجية (الموغل في اليمينية) بعد انتخابه. الشعب الفلسطيني في لبنان هو الذي كان أول من مزج بين الشيوعية والثورة، وليس بين الشيوعية والإصلاح الليبرالي (أي عنوان «البرنامج المرهق»).

لكن العتب، كما يقول أهل الشام، «على قدر المحبة». ومحبة الشعب الفلسطيني تدفعني إلى المصارحة.

أولاً، كيف حدث أن محمود عباس أصبح زعيماً مقبولاً للشعب الفلسطيني؟ وكيف اتفق أن قائد جهاز التنسيق الأمني (القمعي القاتل) مع العدو الإسرائيلي سيموت على الأرجح ميتة طبيعية في سريره، لأن مسيرة هذا الرجل لم تحرك ساكناً في شعب علمنا الثورية؟ كيف تغيّرت طبيعة القيادات الفلسطينية عبر العقود، وكيف سكت الشعب الفلسطيني -ويست - عن موبقات حكم محمود عباس الذي لا يتورّع عن اعتبار نفسه نتاج الديمقراطية فيما كانت آخر انتخابات لمنصب الرئاسة جرت قبل أكثر من عقد. (لكن متى كان غياب الديمقراطية عائقاً أمام تنصيب الغرب والعدوّ الإسرائيلي لطغاة من شتى الأصناف والألوان في بلادنا). هذا الرجل أتى إلى منصب رئاسة الحكومة بفضل العدو الإسرائيلي ورئيس جهاز موصاه السابق (باعتراف إفرام هاليفي في كتابه «رجل في الظل») الذي أقتنع الحكومة الأميركية بضرورة استحداث منصب رئيس الحكومة كي يأتي محمود عباس ويضعف منصب ياسر عرفات. كان الشعب الفلسطيني يحاكم قياداته، وتعزّضت قيادات فلسطينية للاغتيا عبر السنوات وللنقد والتعبير والإقصاء بناء على التخاذل وضعف الأداء، أما اليوم فإن عباس يقبع في منصب الرئيس من دون أي إزعاج من قبل شعبه. لا بل هو يخدع شعبه باستمرار عبر وعود متنوعة، ويستعين بفريق من المهزجين (بقيادة كبير المهزجين) لماذا لا يوجد الشعب الفلسطيني بدائل عن عباس ودحلام وياسر عبد ربه وصائب عريقات وسلام فئاض؟ كيف يمثل أسوأ قادة أفضل شعب؟ والفساد في شلّة رام الله لا تبدو أنها تزجّج الشعب الفلسطيني. كيف حدث أن الشعب الفلسطيني يستكين وهناك قادة أسوأ بكثير من أحمد الشقيري والحاج أمين الحسيني (على علّته) ينطقون باسمه؟ ثانياً، كيف حدث أن لثة الطائفية انتقلت إلى الشعب الفلسطيني؟ في عام

”

كيف حدث أن محمود عباس أصبح زعيماً مقبولاً للشعب الفلسطيني؟

“

1920، طلب القائد الصهيوني، حاييم وايزمن، بعد زيارة إلى فلسطين، من مكتب استخبارات الحركة الصهيونية وضع خطة شاملة لمواجهة الرفض العربي للصهيونية. ووضعت الخطة وجاء في بندها السادس: «العمل على إثارة الشقاق بين المسلمين والمسيحيين». وكيف تعامل الشعب الفلسطيني مع هذه الخطة الصهيونية الخبيثة؟ باشر منذ إعلان وعد «بلفور» وتشرب النوايا الخبيثة للحركة الصهيونية على إنشاء «الجمعيات الإسلامية-المسيحية» في كل أنحاء فلسطين لتفويت الفرصة على خطط العدو. أصرّ الشعب الفلسطيني على نبذ الفرق الطائفية التي حاول العدو استغلالها. أما اليوم، فإن الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال وفي المخيمات أصبح يحتضن أكثر العقائد السلفية والجهادية المتزمتة، وأصبح الكثير من الشعب الفلسطيني

يقبل بفكرة التكفير ضد المسيحيين وضد الشيعة. كان الشعب الفلسطيني الخلاق في العشرينيات والثلاثينيات يصير على سمو القضية الفلسطينية ويميز بين اليهود والصهاينة (حتى الحاج أمين كان يقول بذلك قبل ترحيله من فلسطين)، أما اليوم فإن هناك بين الفلسطينيين (القادة والعناصر) من يتحدّث بلغة «أحفاد القردة والخنازير». ولقد سألني زميلة أميركية كانت تدرّس في مدارس غزّة قبل نحو عقد عن أفضل الطرق للتعامل مع نزعات طائفية مذهبية ضد الشيعة بين الطلاب، لأن ذلك أشار امتعاضها. أنكر في سنوات الطفولة أن الشعب الفلسطيني في لبنان كان مثلاً للتضامن العلماني الوطني بعيداً عن أي حزازات طائفية، وكان في منأى عن الصراعات الطائفية البغيضة في لبنان. الشعب الفلسطيني بات معقلاً لعقائد الوهابية التي تتقاطع مع المصالح الصهيونية. وهذه العقائد الدينية المتزمتة لها تاريخ عريق من مهادنة العدو الإسرائيلي. عبدالله عزّام كان يجول في الدول الإسلامية لتجنيد الشباب الإسلامي لمحاربة الجيش السوفياتي في أفغانستان فيما لم يشارك مرة في التعبئة ضد الاحتلال الإسرائيلي. هل هجر الشعب الفلسطيني رسالة جورج حبش واختار بدلاً عنها رسالة عبد الله عزّام وصحبه من المشعوذين الدينيين؟

ما هذه الظاهرة التي بدأت تنتشر في رام الله إلى باقي أنحاء الفلسطينية؟ من زرع عقيدة اللاعنّف وقرع الطناجر النحاسية كوسيلة وحيدة للاحتجاج ضد العدو الإسرائيلي؟ متى كان المجتمع الفلسطيني حاضراً لفكر التخاذل والهوان والتساهل مع عدوان إسرائيل؟ يساريون فلسطينيون يتجمعون ويقرعون الطناجر في رام الله؟ هل هذا أفضل ما جادت به قريحة اليساريين المستحدثين المتأثرين بعقيدة اليسار العربي اليميني الذي يرسل مندوبين عنه إلى مهرجان الجنادرية؟ كانت المنظمات الفلسطينية تتنافس في إيلاء الكفاح المسلح الأولوية العظمى، وأحياناً الوحيدة، لتحرير كل فلسطين. وقد كرس ميثاق منظمة التحرير المعدل في عام 1968 (قبل تعديله من قبل بيل كلينتون وصهاينة أميركا) الإجماع الفلسطيني على ضرورة الدفاع عن فلسطين بقوة الكفاح المسلح. أما الآن، فقد بات منقوّو الشعب الفلسطيني وقياداته يتبارون في مسابرة صهاينة الغرب في المجاهرة بنبذ العنف المسلح بكل أشكاله، حتى ولو كان في حالة الدفاع عن النفس، ماذا حل



في العام المقبل سيمرّ قرنٌ واحدٌ من الزمن على وعد بلفور (أ ف ب)

بالثقافة السياسية للشعب الفلسطيني؟ من لوئها بلوثة الليبرالية المقبّبة الوافدة من أنظمة الخليج ومن مركز «صابان» في فرعه القطري، أو من دكاكين أنظمة الخليج في مدينة واشنطن؟ هل أن قرع الطناجر الاحتجاجية بات السلاح الأمضى في مواجهة عنف العدو؟ ألم يجزّب الشعب الفلسطيني وسيلة اللاعنّف بين أعوام 1948 ومنصف الستينيات عند انطلاق الكفاح المسلح؟ ألم يتخصّص العدو الإسرائيلي في قتل وجرح الآلاف من منتهجي الكفاح اللاعنفي بين العرب (راجع كتاب بني موريس، «الضحايا الأحيقون») رابعاً، ماذا حلّ بالتضامن الأممي مع القضية الفلسطينية؟ من حاسب قيادة حركة «فتح» التاريخية التي باسم «القرار الفلسطيني المستقل» -والذي لم يكن مستقلاً يوماً تحت قيادة ياسر عرفات أو تحت قيادة خلفه- على عزلها قضية شعب فلسطين عن العرب وشعوب العالم؟ كان الشباب العربي والعالمي يتقاطر إلى المخيمات الفلسطينية في الأردن وفي لبنان لتلقي التدريب على السلاح لكن قيادة «فتح» نفّرت وأبعدت التعاطف العالمي لأنها توّظت في مشروع إجهاض الثورة الفلسطينية. هل الشعب الفلسطيني لا يريد اليوم أن يتلقى تأييداً شعبياً من دول العالم؟ هل قيادات القضية الفلسطينية (من «حماس» و«فتح») تكفي بالتحالف مع أسوأ الأنظمة على وجه الأرض مكتفية بما تلقاه من فتات مالي من هذه الأنظمة المعادية للشعب الفلسطيني؟ ولماذا تنتكّر الحركة الوطنية الفلسطينية للمتضامنين والمناضحين من أجل فلسطين؟ هل ارتفع صوت في غزّة لحفظ الجميل لـ«سامي شهاب» الذي خاطر بحياته من أجل تقوية صمود المقاومة في غزّة؟ هل تخجل «حماس» بالتأييد الذي لقيته من «سامي شهاب» ومن أرسله لأسباب تتعلق بلوثة الطائفية التي نتجت عن ارتهاؤها لأنظمة الخليج؟ وإذا كانت «حماس» لا تريد أن تتحالف مع إيران -وهذا حقّها- فهل أنظمة الخليج هي بديل أفضل؟ هل أي من أنظمة الخليج يناصب العداء ضد العدو الإسرائيلي فيما يجاهر قادة العدو بأن أنظمة الخليج باتت في محور واحد معه؟ خامساً، من معالم ضعف ووهن النضال الفلسطيني هو تحويل النضال الفلسطيني إلى مجرّد تعاطف عن بعد. كيف يمكن أن يصبح عنوان النشاط الفلسطيني الشباني هو «المقاطعة» (أي مقاطعة البضائع والأفراد)، على أهميتها. لكن «المقاطعة» هي عنوان مقبول للأجانب،

الخبار
al-akhbar

رئيس التحرير -
المحرر المسؤول:
ابراهيم الامين

نائب رئيس التحرير:
بيار ابي صعب

محرر التحرير:
إيلي شاهوب،
وفيف قانصوه

مجلس التحرير:
محمد زبيب
حسن عليف
إيلي حنا
اهل الاندي
شريك كزيم

صادرة عن شركة
اخبار بيروت

المكاتب بيروت -
فردان - شارع جونان
- سنتر كوكورد -
الطابق السادس
تلفاكس:
01759500
01759597
ص. ب 5963/113

الإعلانات
الوكيل الصحفي
ads@al-akhbar.com
01/759500

التوزيع
شركة الواصل
15-14-11 666314-01
03 / 828381

الموقع الإلكتروني
www.al-akhbar.com

صفحات التواصل



/AlakhbarNews



@AlakhbarNews



/alakhbarnews-
paper